زوجة عزيز مصر
وهي زليخا

قصص النساء في القرآن

[4] زوجة عزيز مصر: وهي زليخا

وقد ورد ذكرها في قوله تعالى:{وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ} [يوسف: ٢١]، وعزيز مصر الذي اشترى يوسف عليه السلام كان يدعى قطفين.

* * *

موجز القصة:

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: ذكر الله تعالى في كتابه ما كان من أمر مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه، وهي في غاية الجمال والمال والمنصب والشباب، وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه، وتهيأت له وتصنعت ولبست أحسن ثيابها وأفخر لباسها، وهي مع هذا كله امرأة الوزير؛ قال تعالى: {وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾} [يوسف: ٢٣].

قال تعالى:{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ} [يوسف: ٢٤].

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: ظاهر هذه الآية الكريمة قد يفهم منه أن يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام هم بأن يفعل مع تلك المرأة مثل ما همت هي به منه، ولكن القرآن العظيم بين براءته عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيما لا ينبغي حيث بين شهادة كل من له تعلق بالمسألة ببراءته، وشهادة الله تعالى له بذلك واعتراف

إبليس به.

أما الذين لهم تعلق بتلك الواقعة فهم: يوسف، والمرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود.

أما جزم يوسف بأنه بريء من تلك المعصية؛ فذكره الله عز وجل في قوله تعالى:{قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي} [يوسف: ٢٦]، وقوله عز وجل:{قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ} [يوسف: ٣٣].

وأما اعتراف المرأة بذلك؛ ففي قولها للنسوة:{وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ} [يوسف: ٣٢]، وقولها:{ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ} [يوسف: ٥١].

وأما اعتراف زوج المرأة؛ ففي قوله:{قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ٢٩} [يوسف: ٢٨ - ٢٩].

وأما اعتراف الشهود بذلك؛ ففي قوله:{وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ} [يوسف: ٢٦].

وأما شهادة الله جل وعلا ببراءته؛ ففي قوله:{كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ} [يوسف: ٢٤].

قال الفخر الرازي في تفسيره: قد شهد الله تعالى في هذه الآية الكريمة على طهارته أربع مرات:

أولها: لنصرف عنه السوء، واللام للتأكيد والمبالغة.

والثاني قوله: والفحشاء، أي: وكذلك لنصرف عنه الفحشاء.

والثالث قوله: إنه من عبادنا، مع أنه تعالى قال:{وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ

ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾} [الفرقان: ٦٣].

والرابع قوله: المخلصين، وفيه قراءتان: قراءة باسم الفاعل، وأخرى باسم المفعول.

فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص. ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه، واصطفاه لحضرته. وعلى كلا الوجهين: فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزها عما أضافوه إليه. اهـ من تفسير الرازي.

وبدأ موضوع عشق زليخا للعبد يوسف ينتشر.. خرج من القصر إلى قصور الطبقة الحاكمة أو الراقية يومها.... ووجدت فيه نساء هذه الطبقة مادة شهية للحديث. وزاد حديث المدينة:{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ } [يوسف: ٣٠].

وانتقل الخبر من هنا إلى هناك، ومن بيت إلى بيت.. حتى وصل لامرأة العزيز{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾} [يوسف: ٣١ - ٣٢].

قررت امرأة العزيز أن تعد مأدبة كبيرة في القصر، وندرك من هذا أنهن كن من نساء الطبقة الراقية، فهن اللواتي يدعين إلى المآدب

في القصور؛ ويبدوا أنهن كن يأكلن وهن متكئات على الوسائد والحشايا، فأعدت لهن هذا المتكأ، واختارت ألوان الطعام والشراب وأمرت أن توضع السكاكين الحادة إلى جوار الطعام المقدم، ووجهت الدعوة لكل من تحدثت عنها، وبينما هن منشغلات بتقطيع اللحم أو تقشير الفاكهة، فاجأتهن بيوسف:{وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ} [يوسف: ٣١]؛ بُهتن لطلعته، ودهشن.{وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ} [يوسف: ٣١]، وجرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة المفاجئة.{وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ} [يوسف: ٣١]؛ وهي كلمة تنزيه تقال في هذا الموضع تعبيرا عن الدهشة بصنع الله تعالى..{مَا هَٰذَا بَشَرًاۚ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ} [يوسف: ٣١]؛ يتضح من هذه التعبيرات أن شيئا من ديانات التوحيد تسربت لأهل ذلك الزمان.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في المجموع الجزء الثاني: وقد يطلق الحيض بمعنى الإكبار؛ ومنه قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ} [يوسف: ٣١]؛ فقوله تعالى:{أَكۡبَرۡنَهُۥ}؛ أي: حضن؛ قال الشاعر:

يأتي النساء على أطهارهن ::: ولا يأتي النساء إذا أكبرن إكبارا [1]

ووصلت امرأة العزيز إلى مبتغاها معهن، حيث قالت لهن: هذا هو يوسف الذي لمتنني فيه، وخضتن في الحديث عني وعنه، وهذا هو شأنكن اليوم فيه، وقد رأيتنه عفوا، وشاهدتنه لمحا، فما بالكن وقد ترعرع في داري، وبلغ أشده واستوى بين سمعي وبصري، وكنت أشاهده في يقظته ومنامه، وطعامه وشرابه، وحركته وسكونه!!، وقد صكها زوجها حينما علم منها ذلك.

ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها، وأنهن لقين من

(1) انظر ابن العربي في أحكام القرآن، والإمام النووي في المجموع (ج 2 / 378)، ومن أسماء الحيض أيضاً؛ عارك، طامس، دارس، حائض، فارك.

طلعة يوسف الدهش والإعجاب والذهول؛ فقالت قوله المرأة المنتصرة، التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها، والتي تفتخر عليهن بأن هذا متناول يدها؛ وإن كان قد استعصم في المرة الأولى فهي ستحاول المرة تلو الأخرى إلى أن يلين: انظرن ماذا لقيتن منه من البهر والدهش والإعجاب! لقد بهرني مثلكن فراودته عن نفسه لكنه استعصم، وإن لم لطعني سآمر بسجنه لأذلّه.

إنها لم تر بأسا من الجهر بنزواتها الأنثوية أمام نساء طبقتها؛ فقالتها بكل إصرار وتبجح، قالتها مبيّنة أن الإغراء الجديد تحت التهديد. واندفع النسوة كلهم إليه يراودنه عن نفسه.. كل منهن أرادته لنفسها.. ويدلنا على ذلك أمران هما:

الدليل الأول هو قول يوسف عليه السلام{رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ} [يوسف: ٣٣]؛ فلم يقل: " **ما تدعوني إليه** ".. والأمر الآخر هو سؤال الملك لهن فيما بعد{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ} [يوسف: ٥١].

أمام هذه الدعوات - سواء كانت بالقول أم بالحركات واللفتات - استنجد يوسف عليه السلام بربه ليصرف عنه محاولاتهن لإيقاعه في حبائلهن، خيفة أن يضعف في لحظة أمام الإغراء الدائم، فيقع فيما يخشاه على نفسه، دعي يوسف الله دعاء الإنسان العارف ببشريته، الذي لا يغتر بعصمته؛ فيريد مزيدا من عناية الله وحياطته، ويعاونه على ما يعترضه من فتنة وكيد وإغراء.

{ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾} [يوسف: ٣٣]، واستجاب له الله.. وصرف عنه

كيد النسوة.

وكان ما كان من مراودتهن جميعهن عن نفسه، وتهديد امرأة العزيز له، إلا أنه اختار السجن على ارتكاب المعصية، واستجاب له ربه دعاءه فصرف عنه كيد النساء.

هؤلاء النسوة أطلق عليهن عبر التاريخ اسم صواحب يوسف، وهي تسمية أطلقها عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قال لعائشة رضي الله عنها حين اشتد عليه المرض:**"مروا أبا بكر فليصل بالناس -**، قالت عائشة رضي الله عنها: إنه رجل رقيق إذا أقام معك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال النبي صلى الله عليه وسلم :**"مروا أبا بكر فليصل بالناس -**، فأعادت عائشة قوله، فقال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم :**"مري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف -.**

تمت القصة بعون الله تعالى

***